

أضواء البيان

@ 138 @ الْقُرْهُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبٍ عِبَادِهِ

خَبِيرًا بِصِيرًا { ، وقوله : { فَكَأَيُّ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا { ، وقوله : { وَكَأَيُّ مِّنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّ بِذُنُوحِهَا عَذَابًا زُكْرًا فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا { إلى غير ذلك من الآيات . .

وقوله في هذه الآية الكريمة : { وَكَمَّ قَصَمْنَا { أصل القصم : أقطع الكسر لأنه الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء ، بخلاف الفصم بالفاء فهو كسر لا يبين تلاؤم الأجزاء بالكلية . والمراد بالقصم في الآية : الإهلاك الشديد . قوله تعالى : { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ { . قد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة (الحجر) فأغنى ذلك عن إعادته هنا ، وكذلك قوله : { بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ { الآية . قد قدمنا الآيات الموضحة لذلك في سورة (بني إسرائيل) ، وكذلك الآيات التي بعد هذا قد قدمنا في مواضع متعددة ما يبينها من كتاب الله . قوله تعالى : { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ { . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن الكفار لعنهم الله قالوا عليه أنه اتخذ ولداً . وقد بينا ذلك فيما مضى بياناً شافياً في مواضع متعددة من هذا الكتاب المبارك . سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً . وبين هنا بطلان ما ادعوه على ربهم من اتخاذ الأولاد وهم في زعمهم الملائكة بحرف الإضراب الإبطالي الذي هو (بل) مبيناً : أنهم عباده المكرمون ، والعبد لا يمكن أن يكون ولداً لسيِّده . ثم أثنى على ملائكته بأنهم عباد مكرمون ، لا يسبقون ربهم بالقول أي لا يقولون إلا ما أمرهم أن يقولوه لشدة طاعتهم له { وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ { . وما أشار إليه في هذه الآية الكريمة من أن الملائكة عبيده وملكه ، والعبد لا يمكن أن يكون ولداً لسيده أشار له في غير هذا الموضع . كقوله في (البقرة) : { وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ لَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهِ قَانِتُونَ { ، وقوله في (النساء) : { إِنَّ زَمَنَ اللَّهِ إِِلَهِهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا { أي والمالك بكل شيء لا

يمكن أن يكون له ولد . لأن الملك ينا في الولدية ، ولا يمكن أن يوجد شيء سواه إل